

ابن الأنباري سيرته الذاتية وآثاره النوعية

د. عبد الحكيم محمد بادي

كلية الآداب - جامعة مصراتة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المهتدين وخاتم النبيين، سيّدنا مُحَمَّد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

فإنّ الاطلاع على جهود السابقين والنظر في سيرهم، والبحث عن تفاصيل حياتهم يُعدُّ من الأمور الجليلة التي تربط حاضرنا بماضيها، وتمدّنا بيزاد العظة والعبرة والتدبّر، وتُشعرنا بمدى تقصيرنا وتفريطنا في التعامل مع التراث المجيد الذي خلفوه لنا، وتدفعنا للسير على نهجهم، واتّباع مسلكهم العلمي القويم.

هذا وقد آثرُ دراسة شخصية الإمام (الأنباري - ابن الأنباري)⁽¹⁾؛ لأني وجدت أنّ جماعة من علماء العربية المبرزين في القرون الإسلامية السابقة نالوا حظّهم من الإشادة والاهتمام بتصانيفهم شرحاً وتعليقاً وتحشيةً، كصاحب الكشاف والمفصّل، وصاحب الكافية والشفافية، وصاحب الألفية والتسهيل، وصاحب البحر والارتشاف، وصاحب الشذور والمغني ... أما أبو البركات عبد الرحمن الأنباري فذكره في كتب التاريخ والتراجم عابراً، وترجمته هزيلة لا تُناسب مكانته العلمية وتصانيفه النوعية؛ إذ تحمل كثيراً من جوانب حياته وتمرّ على جوانب أخرى مرور الكرام، وفي هذا الصّدّد يقول أحد المعاصرين: وإنه لمن المؤسف حقاً أن تمرّ هذه السنون الطويلة ولا يجد صاحب (الإنصاف) من يُبصّفه، وأنّ تكون بعض الصفحات القليلة ... والأبحاث المتفرّقة في المجالات هي غاية ما ظفّر به عالمنا الكبير [يقصد ابن الأنباري] حتى الآن⁽²⁾.

1- يُلقَّبُه مُترجموه ومحقِّقُو كتبه -أحياناً- (بالكمال) و(الأنباري) وأحياناً أخرى يُكَنّونه ب(أبي البركات) و(ابن الأنباري)، والأخيرة أشهر.

2- ابن الأنباري وجهوده في النحو لجميل علّوش، المقدّمة ص5-6 بتصرّف.

وعليه فإنني سأنضمُّ إلى الذين كتبوا عن الشيخ الجليل، لعلِّي أُثري شيئاً عن حياته الخاصة والعامة وسيرته العلمية، مختاراً عنوان: "ابن الأنباري سيرته الذاتية وآثاره النوعية" ومستعيناً بعد عون الله وتوفيقه بمجموعة من كتب التراجم، ومستشفاً منها المعاني السامية في شخصيته، وناظراً في كتبه المتداولة وبعض ما كُتِبَ عنه ككتاب جميل علوش (ابن الأنباري وجهوده في النحو) وسائراً على النهج الآتي:

تمهيد: أُوجِزُ فيه طبيعة عصر الأنباري وملامحه العامة، وأربعة مطالب حَصَّصْتُ الأوَّل منها: لحياته (نسبه ومولده ونشأته ووفاته). وتناولتُ في الثاني: سيرته (حُلُقُه وُزُهده ومجاهدته لنفسه ومكانته العلمية وشيوخه وتلاميذه). وعرضتُ في الثالث: آثاره (مجموعةً من مؤلَّفاته وبعض شعره). وفي الرابع: اخترتُ بعضَ ما اختاره جميل علوش من إسهاماته النحوية ومشاركاته وآرائه (الجدل النحوي وأصول النحو والخلاف النحوي). وخاتمة: رصَدْتُ فيها ما توَصَّلْتُ إليه من ملاحظاتٍ وفوائد.

تمهيد: عصر ابن الأنباري

كانت العراق في القرن السادس الهجري (وهو العصر الذي عاش فيه ابن الأنباري) بيئةً مضطربةً تُموج بالتغيَّرات والتقلُّبات؛ إذ كانت الفوضى من أهمِّ ملامح ذلك العصر؛ فانتشرت الاضطرابات السياسية وظهرت الفتن وكثرت المنافسات المحمومة على كرسيِّ الحكم، وأدَّت هذه الظروف مجتمعةً إلى تفكُّك الدولة الإسلامية ومقاومة ظلم السلاجقة والتمرد على حكامهم القائمين على الأمر آنذاك.

أما من الناحية الاجتماعية فقد سادت الطبقيَّة الظالمة التي قسَّمت الناس قسمين: طبقةً تتمرَّغ في نعيم الغنى والتَّرف، من السلاطين والأمراء ومن حذا حذوهم وسار في فلكهم من القادة والوزراء والأثرياء، وأخرى تَضَمَّ العائمةً وبُسطاءَ الرعيَّة (وهم سواد الناس) من الحرقيين والصنَّاع والفلاحين والكادحين، الذين يُقاسون شَظْفَ العيش وبؤسَ الجوع والفقر، وآلامَ الاستبداد والضيَم.

وعلى الرغم من وفرة الأموال في بيت مال المسلمين وتنوع الموارد، بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية في تلك الآونة، فإنّ الفقرَ والمرضَ كانا متفشّيين بين الناس؛ لسوء توزيع الثروات، والاستئثار بها من قِبَل القادة ورجال الدولة دون عامّة الناس، والابتلاء بالفيضانات والكوارث الطبيعية ... إلخ.

ولقد أدّى سوء الحالة السياسية والاقتصادية -الذين هما سببُ كلِّ انحراف- إلى فقدان الأمن في هذا الزمان، وفساد الأخلاق وانتشار الجريمة، وتوفّر البيئة المناسبة لبروز الأفكار المتطرّفة والحركات الهدّامة؛ فانغمس كثيرٌ من الناس في حضيض الرذيلة، وهجر كثيرٌ منهم المجتمعَ مُقبِلين على حياة الزهد والتصوّف، وهذا ما يبرّر عزلةَ ابن الأنباري وميَّله إلى المتصوّفة كحال كثيرٍ من معاصريه، لِمَا لهذه الجوانب من تأثيرٍ مباشرٍ على شخصيّة الإنسان وسلوكه⁽¹⁾.

المطلب الأوّل: حياته

إِسْمُهُ وَنَسَبُهُ:

هو الشيخ الإمام كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن⁽²⁾ بن مُحمَّد بن عبيد الله بن أبي سعيد المعروف بـ(الأنباري - ابن الأنباري) النحويّ المفنّن⁽³⁾، والفقير الشافعيّ المذهب، صاحب كتاب الإنصاف.

هذه السلسلة في نسبه هي ما عليه أغلب أصحاب التراجم، وإن وُجد بعض التغيير الطفيف بين مؤلِّفٍ وآخر من تقديم الكُنية أو اللقب، وقد خالف بعضهم في اسم أبيه أو جدّه؛

1- لستُ بصدّد التوسّع في هذه العوامل؛ ولذا اكتفيتُ بوصفٍ مختصرٍ جدّاً، ولمزيد الاطلاع على التفاصيل يُراجع المصدر السابق ص16-42، الذي بسط فيه مؤلِّفه القول في هذه الظروف والمؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وما ترتّب عليها، استناداً إلى مصادره التاريخية: العربية والأجنبية.

2- ينظر: إنباه الرواة للفظيّ 169/2؛ وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 10/2؛ وفوات الوفيات لمحمد بن شاعر الكتيّ 92/2؛ وروضات الجنّات للخوانساري 30/5.

3- ينظر: بغية الوعاة للسيوطي 86/2.

فتاج الدين السُّبُكِيِّ وصاحب هديّة العارفين يذكران بعد (عُبَيْدُ اللَّهِ) (ابن مُصْعَب) (1)، ويُضيف صاحب الأعلام لقب (الأنصاري) (2)، ويختصّ ابنُ كثير بوصف أبيه بـ(أبي السعادات) وتكرار (مُحَمَّد بن عبيد الله) (3)، أمّا ابن خَلِّكان والزركلي (4) فيذكران أنّ أباهُ يُكْتَبُ بـ(أبي الوفاء)، ويزيد الأوّل (ابن الحسن بن سليمان) ويُلقِّبه بـ(الأنباري).

مولده:

وُلِد ابن الأنباري بالأنبار في ربيع الآخر (5) عام ثلاثة عشر وخمسمائة من هجرة المصطفى (ﷺ) [513هـ]، الموافق ليوليو عام تسعة عشر ومائة وألف من ميلاد المسيح (الصلوات) [1119م]. ويذكر اليافعيّ أنه وُلِد ببغداد (6) ولم يذكره غيره.

نشأته:

تربّى عبد الرحمن بن الأنباري في بيت علمٍ ونَشَأ نشأةً صالحةً؛ فكان يسمع من أبيه في صباه بالأنبار (7)، ثمّ قدّم بغداد -وهي وقتئذٍ قبلة الطلاب وملاذ العلماء-، وانخرط في المدرسة النظامية (8) ينهل من علومها ويستفيد من علمائها، وتَفَقَّه في المذهب الشافعيّ، وبرز في اللغة

- 1- ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسُّبُكِيِّ 248/4. وهديّة العارفين لإسماعيل البغدادي 519/1.
- 2- ينظر: الأعلام للزركلي 104/4، والظاهر أنّ (الأنصاري) تصحيف في (الأنباري)، والله أعلم.
- 3- ينظر: البداية والنهاية لابن كثير 310/12، والظاهر أنّ (أبا السعادات) تصحيف في (أبي سعيد)، أمّا تكرار (مُحَمَّد بن عبيد الله) فهو ظاهر الخطأ، والله أعلم.
- 4- ينظر: وفيات الأعيان لابن خَلِّكان 139/3؛ والأعلام للزركلي 104/4.
- 5- ينظر إنباه الرواة 171/2. وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان 170/5.
- 6- ينظر: مرآة الجنان لليافعيّ 408/3.
- 7- ينظر: بغية الوعاة 86/2.
- 8- ينظر: فوات الوفيات 293/2.

والأدب حتى صار شيخ العراق من غير مدافع⁽¹⁾، تُشَدُّ إليه الرحال من سائر الأقطار، ولم يترك بغداد قطُّ حتى وفاته⁽²⁾.

وقد توهم السيوطي فذكر أنه دخل الأندلس تبعاً لابن الزبير في الصلّة⁽³⁾، والجدير بالذكر أنّ محقق (إنباه الرواة) أورد في الهامش قول ابن مکتوم ونصّه: ((ذكر الأستاذ الحافظ المؤرخ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفيّ العاصميّ في تاريخه للأندلس الذي وصل به صلة أبي القاسم بن بشكوال: أنّ أبا البركات عبد الرحمن بن الأنباري الملقّب بالكمال هذا دخل الأندلس ووصل إلى إشبيلية وأقام بها زماناً، ولا أعلم أحداً ذكر هذا غيره وهو مستغرب يحتاج إلى نظرٍ، والظاهر أنه سهوٌ والله أعلم))⁽⁴⁾.

ومن استعراض النصوص السابقة يتبيّن أنّ رحلته إلى الأندلس لم تثبت بنقلٍ صحيحٍ قاطع، ولقد توقّف (جميل علّوش) عند هذه النقطة وأشار إلى أنه بذل جهوداً مضنيةً في التحقّق من هذا الخبر، بتتبع المصادر التاريخية ومقارنتها؛ فتوصّل إلى عدم اقتناع بالرحلة، ووصفها بالرحلة المزعومة، والراجع عنده أنّ الخبر قابلٌ للنفي والإثبات؛ لأنّ الأدلّة غير كافيةٍ والحجج غير قاطعة؛ خصوصاً وأنّ صلة ابن الزبير لم يُعثر عليها كاملةً حتى الآن، ويترك الحكم القاطع للأيام، فلربّما برز دليلٌ يؤيّد هذا أو ذاك⁽⁵⁾.

وبالنظر إلى ما سبق أستطيع أن أوّيد نفي الرحلة من وجهين:

الأول: أنّ السيوطي -رحمه الله- غير مُتَحَقِّظٍ في نقل بعض الأخبار؛ لأنه ناقلٌ عن غيره، وليس معاصراً لابن الأنباري وكثرة مُصنّفاته التي تُعدّ بالمئات قد تكون مانعاً من التدقيق

1- ينظر: طبقات السبكيّ 248/4.

2- ينظر: إنباه الرواة 170/2.

3- ينظر: بغية الوعاة 86/2.

4- إنباه الرواة 171/2.

5- ينظر: ابن الأنباري وجهوده في النحو ص 48-56.

والفحص الذي يستلزم وقتاً وتأملاً ونظراً، ومما يُثقل عن السخاوي أنّ ما يقع للسيوطي من التحريف والتصحيح إنما هو بسبب عدم مزاحمته للفضلاء في دروسهم واستبداده من بطون الكتب والدفاتر⁽¹⁾، بالإضافة إلى أنه متأخّر عن الأنباري بأكثر من ثلاثة قرون؛ مما يُضعف نقله والثقة بخبره في هذا السياق تحديداً.

الثاني: أنّ عالماً جليلاً بقيمة ابن الأنباري - وإن كان كما قيل عنه: بأنه معروف بالصمت وعدم الإعلان عن نفسه وعن أخباره⁽²⁾ - فإنّ أثره لا يخفى، وأعتقد أنه لو دخل الأندلس حقيقةً لاحتفى الناس به أيما احتفاءً، ولداعت أخباره، وإما أن يتلمذ على أكابر علماء الأندلس ليستزيد من علمهم، وإما أن يجلس لينشر علمه ويتحلّق حوله طلبة العلم والمريدون؛ فمكائنه العلميّة لا تسمح بإخفاء خبره ولو كانت الرحلة قصيرة، يُضاف إلى ذلك أنه من العجب أن تطأ رجلاه الأندلس ولا يُذيع أحدٌ من تلاميذه - وهم كثيرٌ - هذا الخبر، لاسيّما في الأندلس التي كانت بضاعة العلم فيها رائجةً رواجاً عظيماً - آنذاك - وكانت قبلة الطلاب يؤمونها من كلّ حدبٍ وصوبٍ، فدلّ هذا على انتفاء الرحلة، والله أعلم.

وفاته:

انقطع ابن الأنباري في أواخر أيامه عن الناس، ولزم بيته مشغلاً بالعلم والعبادة والإفادة حتى وافته المنية ببغداد - بعد حياة حافلة بالعلم والتحصيل والدرس والإفادة والمثابرة ومجاهدة النفس بلغت أربعاً وستين عاماً⁽³⁾ - ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبعٍ وسبعين وخمسائة من الهجرة [577هـ] الموافق للتاسع عشر من ديسمبر سنة إحدى وثمانين ومائة وألف من الميلاد

1- ينظر: ابن الأنباري وجهوده في النحو ص169؛ ويراجع الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ص66-68.

2- ينظر: ابن الأنباري وجهوده في النحو ص86-87.

3- ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير 477/11؛ ووفيات الأعيان 139/3؛ والبداية والنهاية 310/12؛ والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء إسماعيل 63/3؛ ومرآة الجنان 408/3.

[1181م]⁽¹⁾، ودُفِن في اليوم نفسه بباب أبرز بترية الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، رَحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً.

نسبته إلى الأنبار:

نسبة الشيخ الكمال إلى الأنبار تستلزم ذكر لمحّة خاطفة عن هذه المنطقة، فقد جاء في معجم البلدان: ((والأنبار -أيضاً- مدينة على الفرات في غربيّ بغداد بينهما عشرة فراسخ ... وفُتِحَت الأنبار في أيام الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) سنة [12] للهجرة على يد خالد بن الوليد))⁽²⁾.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية: ((الأنبار مدينة على الضفة اليسرى لنهر الفرات في الشمال الشرقي للعراق جنوبي خطّ طول 40°-43° شرقاً وخط عرض 23°-33° شمالاً ... وإذا كان الفرسخ يساوي (5.7) كلم فإنّ الأنبار تبعد عن بغداد (68) كلم تقريباً، وكانت الأنبار أهمّ مدن الدولة الساسانية، وظلّت مدينةً زاهرةً خلال القرون الأولى للإسلام ... وكانت مقرّاً للخلافة فترةً قصيرةً حيث اتخذها أبو العباس السفّاح عاصمة الخلافة سنة اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة [132هـ] حتى مات ودُفِن بها، ثم مكث بها حلفه أبو جعفر المنصور حتى أسّس دار السلام (بغداد) سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة [145هـ]، ومنذ ذلك الحين أخذت الأنبار تفقد أهميّتها تدريجيّاً))⁽³⁾.

ولا شك أنّ تحديد دائرة المعارف أكثر وضوحاً من معجم البلدان؛ لما فيه من الدقّة والتنبّه بالمقاييس الحديثة، وقد ذكر الحمويّ (أنباراً) أخرى وهي سكة (مرو) يُنسب إليها أبو بكر مُحمّد بن الحسن بن عبدويّه الأنباري⁽⁴⁾ وليست هي البلدة المذكورة آنفاً.

1- ينظر: دائرة المعارف الإسلامية 4/3.

2- معجم البلدان لياقوت الحمويّ 305/1، 306.

3- دائرة المعارف الإسلامية 1/3-3 بتصرّف.

4- ينظر: معجم البلدان 306/1.

هذا وقد برز من الأنبار جماعة من الفضلاء والعلماء في كلِّ فنٍّ⁽¹⁾، وممن اشتهروا بلقب الأنباري في اللغة والأدب المحدث القاسم بن مُجَدِّ المتوفَّى سنة أربعٍ وثلاثمائة من الهجرة [304هـ]⁽²⁾، وابنه النحويِّ الكوفيِّ واللغويِّ الشهير أبو بكر مُجَدِّ بن القاسم صاحب كتاب الأضداد المتوفَّى سنة ثمانٍ وعشرينٍ وثلاثمائة من الهجرة [328هـ]⁽³⁾، وفي مقارنةٍ عقدها الخوانساري بينه وأبي البركات قال: ((والفرق بينهما أنه [يعني أبا بكر] كان منحصرَ البراعة في فنون اللغة العربية، بخلاف هذا [يعني الكمال] فإنه الإمام البارِع والسيد المبرِّز في فنونٍ شتى))⁽⁴⁾.

ويبدو أنّ أبا البركات لم ينسَ مسقطَ رأسه فألّف كتابه (تاريخ الأنبار)، وأظهر فيه انتماءه لعلمائها الأفاضل، حيث احتفى بسلفه الكبير (أبي بكر) على الرغم من كونه كوفيّاً وهو بصريّ، ومع هذا يخصّص له ترجمةً من أوسع الترجمات في كتابه (نزهة الألباء)⁽⁵⁾.
ويُرجع علّوش مبرِّز اعتزازه بمسقط رأسه لسببين: الأوّل - ما يُروى من أنّ الخطّ العربي أصله من الأنبار، وهذا مصدر فخرٍ. والثاني - كثرة العلماء والرجال الأعلام المنتسبين إلى هذه البلدة⁽⁶⁾.

المطلب الثاني: سيرته

خُلُقُه:

جميع مصنفات التراجم تُثني على ابن الأنباري وتقف منه موقف الإجلال والإكبار؛ فهو الذي ترك الدنيا لعشاقها المتكالبين عليها، وأقبل على العلم يغترف من معينه الصافي طالباً

1- ينظر: الأنساب للسمعاني 212/1.

2- ينظر: بغية الوعاة 261/2، 262.

3- نفسه 212-214.

4- روضات الجنّات 30/5.

5- ينظر: نزهة الألباء للأنباري ص 231-237.

6- ينظر: ابن الأنباري وجهوده في النحو ص 67-68.

وجه الله الكريم، ورَضِي من الدنيا بالعَفاف والكفّاف، فلم يتلبّس منها بشيء، وهو يسير بين الناس بسيرة حميدة⁽¹⁾.

وأورد السُّبكي قولَ الموقِّع عبد اللطيف: ((لم أر في العُباد والمنقطعين أقوى منه في طريقه، ولا أصدق منه في أسلوبه، جدُّ محضٌ لا يعتريه تصنُّع ولا يعرف الشرورَ ولا أهوال العالم))⁽²⁾، والظاهر أنّ لنشأته الدينية أثرَ عظيمٍ في زُهدِه وبُعدِه عن السِّفاسف، وكان أبوه أحدَ مشايخه بالأنبار، ويبدو أنّ للقبه وكنيته علاقةً بخُلُقِه الطَّيب؛ فلقَّب بـ(كمال الدين - الكمال) لما فيه من كمال خُلُقٍ وحسن معاشرَة، وكُتِبَ بـ(أبي البركات)؛ لأنه كما قال عنه ابنُ خَلِّكان: ((وكان نفسه مباركاً ما قرأ عليه أحدٌ إلاّ وتميَّز))⁽³⁾، ومما يدلُّ على جدِّه وبُعدِه عن العَبَث أنّه علَّق في مُصنِّفه (نزهة الألباء) على دُعابة جرت بين الميداويّ والزخشريّ فقال: ((وهذه فكاهة لا تليق بالمشايخ))⁽⁴⁾.

ولم يمنعه انقطاعه عن الناس في أواخر أيّامه عن فتح الباب على مصراعَيْه لطلبة العلم الوافدين إليه الراغبين في التزوّد من علمه؛ فكان فتح بابِه واستقبالُه لهم وإجابته لرغبتهم أكبر دليلٍ على طيب معدنه وحسن خُلُقِه، أمّا تعلُّقه بشيخه ابن الشجري، فغيرُ خافٍ إذ حتم به (نُزهته) واحتفى به أيّما احتفاءً، وأوصل نسبه في علم العربية إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من طريقه، ومما قال فيه: ((... لا يكاد يتكلّم في مجلسٍ بكلمةٍ إلاّ وتتضمّن أدب نفسٍ أو أدب درسٍ ... وكان الشريف بن الشجريّ أنحى من رأينا من علماء العربية، وآخر من شاهدنا من خُداقهم وأكابرهم))⁽⁵⁾، كلُّ ذلك الإجلال والإكبار وابنُ الأنباري من أكابر أهل السنّة، وشيخه القائم بوظيفة نقيب الطالبين بالكرخ نيابةً عن الطاهر من أقطاب المذهب

1- ينظر: وفيات الأعيان 139/3.

2- طبقات السبكي 248/4.

3- وفيات الأعيان 139/3.

4- نزهة الألباء: ص337؛ وينظر ابن الأنباري وجهوده في النحو ص79.

5- نزهة الألباء ص348-349 بتصرف.

الشيوعي في عصره؛ وفي هذا دليلٌ صارخ على سماحة النفس والتسامح والرُّقي في التعامل من قِبَل العالمين الجليلين.

زهدهُ وتصفوفه:

لم يُعرف عن أبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري في سيرته وحياته الخاصة سوى الاستقامة ومجاهدة النفس والتقشُّف في الملبس والمأكل، زهد في الدنيا فارتسمت الدار الآخرة في عقله وقلبه، ورغب عن الناس فما رغبوا عنه، شقي يومه ليسعد في غده - وكذلك العقلاء - وكأنه كان يتمثل قول أبي الطيب المتنبي [من الكامل]⁽¹⁾:

دُو العِقل يَشقى في النعيم بعقله . . . وأخو الجهالة في الشقاوة ينعَم.

قال عنه القفطي: ((الشيخ الصالح ... وكان عالماً زاهداً))⁽²⁾، ووصفه اليافعي بـ "العبد الصالح"⁽³⁾.

وقال السُّبكي: ((وله الوَرع المتين والصلاح والرُّهد))⁽⁴⁾، وكتب الحافظ ابن كثير: ((كان خشن العيش لا يقبل من أحدٍ شيئاً ولا من الخليفة))⁽⁵⁾، ونقل السيوطي في البغية: ((وكان إماماً ثقةً صدوقاً، فقيهاً مناظراً غزير العلم، ورعاً زاهداً عابداً تقياً عفيفاً))⁽⁶⁾.

وكان له من أبيه دارٌ يسكنها، ودارٌ وحانوتٌ مقدارٌ أُجرتهما نصف دينارٍ في الشهر، يقتنع به ويشترى منه ورقاً، وكان لا يوقد عليه ضوءاً، وتحت حصر قصبٍ، وعليه ثوبٌ وعمامةٌ من قطنٍ يلبسهما يوم الجمعة - ولا يخرج إلا لها في أواخر أيامه - ويلبس في بيته ثوباً خلقاً⁽⁷⁾، فكان بحقٍ مثلاً يُحتذى وأُتمودجاً يُقتدى للإمام الواثق بربه والعالم العامل.

1- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي 251/4.

2- إنباه الرواة 169/2 بتصرف.

3- مرآة الجنان 408/3.

4- طبقات السبكي 248/4.

5- البداية والنهاية 310/12.

6- بغية الوعاة 86/2.

7- ينظر: الطبقات الكبرى 248/4.

ويبدو من السرد التاريخي للعصر الذي عاش فيه ابن الأنباري أنّ سبب انقطاعه عن الناس أنه رأى منهم ما أهدمه وغمّه ولم يستطع إصلاحهم؛ فالحياة في عصره قد بلغت مَبْلَغاً عظيماً من الانحلال والفساد الخلقي والتردي في مهاري الرذيلة كما أسلفت⁽¹⁾، فأثر التزام بيته ليفرغ للعبادة والاستزادة من العلم ويتجنب الفتنة، ((ولسان حال الإمام الأنباري يُجيب عن زُهده في الدنيا ويُعده عنها بأنه سلك طريق العلم فبلغ مَطْلوبه منه ولو أراد المال لسلك سبيله))⁽²⁾.

أما الحديث عن تصوّفه فغير مُصرّح به، ولكنه قد كرّس نفسه للعلم والعبادة، وكان يقترب من الصوفيّين باعتزاله الناس واعتكافه في بيته، وبطبيعته التي جُبلت على نبت الملدّات وحُبّ الخلوة، وكان ممّن قعد في الخلوة عند الشيخ أبي نجيب الصوفي⁽³⁾، وكان مُقيماً برباط له شرقيّ بغداد في الحانوتية الخارجة، وكان يحضر نوبة الصوفية بدار الخلافة⁽⁴⁾؛ ويبدو لي أنه - وإن لم يُصرّح أصحاب التراجم بتصوّفه - فإنه كان ميّالاً إليهم، متخلّفاً بأخلاقهم وسمّتهم، وقد صنّف (أصول الفصول في التصوّف)؛ ممّا يؤكّد ارتباطه بالمتصوّفة وتعلّقه بهم.

مكانته في المجتمع:

ولقد بلغ من اهتمام الناس به عامّةً ومن طلابه ومُرّيديه خاصّةً، أن لقبوه ب(الكمال) وكنّوه ب(أبي البركات)، وتزاحموا على بابه ينشدون علمه ويحلّون فيه ورعه؛ بل إنّ الأمر تعدّاه إلى أبعد من ذلك، فقد كان الخلفاء ورجال الدولة يصلونه ويتقرّبون إليه وهو مُعرّض عن مجالسهم راغبٌ عنها، ولا يقبل جوائز الخليفة ولا يأخذ فلساً⁽⁵⁾. ومن الأخبار التي تؤيّد ذلك: قصّته مع الخليفة المستضيء ((فقد سيّر إليه خمسمائة دينارٍ فردّها، فقالوا له: إجعلها لولدك؛ فقال: إنّ

1- يُراجع: التمهيد من هذا البحث.

2- مقدمة محقق أسرار العربية للأنباري ص14.

3- ينظر: طبقات السبكي 248/4.

4- ينظر: إنباه الرواة 170/2؛ والبداية والنهاية 310/12.

5- ينظر: البداية والنهاية 310/12.

كنتُ خلقتُهُ فأنا أرزقُهُ!))⁽¹⁾، وثبّين هذه القصة ما كان يتمتّع به الرجلُ من حُلُقٍ نَبِيلٍ وعفافٍ وكفافٍ، ومدى احتقاره لِمُتَع الدنيا الزائلة، وإقباله على ما عند الله الذي هو خيرٌ وأبقى، وثقته الكبيرة برَبِّه واعتداده بعلمه.

جهاده في العلم:

قبل الحديث عن مكانة ابن الأنباري العلمية لا بدّ من ذكرٍ سريعٍ للمدرسة النظامية التي تلقى فيها دروسَ العلم، ثمّ أصبح معيداً بها، ثمّ عالماً مبرّزاً من الأئمّة المشار إليهم في علم النحو⁽²⁾.

المدرسة النظامية ببغداد: أنشأها وزير السلاجقة (نظام الملك) الذي عُرف بِمَيْلِه إلى العلم وتقريب العلماء، ولم تكن نظامية بغداد الأولى من نوعها؛ ولكنها نالت شهرةً فائقةً، فقد درّس فيها كبارُ العلماء، منهم: الإمام أبو حامد الغزالي، والإمام الشيرازي وغيرهما، وتخرّج منها علماءٌ أفاضل نشروا لواءَ العلم كابن الأنباري، وتخصّصت هذه المدرسة بضخامة البناء واتساع الفناء وتكفلها بِمَسْكِن الطالب ومُعِيشته، وتوجّب على المنتسبين إليها دراسةَ المذهب الشافعيّ والتفقه فيه، أمّا العلوم المدرّسة فيها فهي علوم العربية والشريعة، فأستاذٌ للتفسير وآخر للحديث وثالث للغة... وهكذا⁽³⁾.

تبدأ رحلة ابن الأنباري مع العلم والقرطاس والقلم منذ أن قَدِم بغداد في صباه، والتحق بالمدرسة النظامية وتفقه على مذهب الإمام الشافعيّ على يد (ابن الرزاز) حتّى برع وحصل طرفاً صالحاً من الخلاف، وصار مُعيداً بها، وحدث باليسير، وكان يعقد مجلس الوعظ⁽⁴⁾، ثم قرأ النحو على ابن الشجريّ، واللغة على (ابن الجواليقيّ)، وصار شيخَ العراق الأوّل، له التدريس في بغداد

1- طبقات السبكيّ 248/4.

2- ينظر: مرآة الجنان 3/408.

3- ينظر: ابن الأنباري وجهوده في النحو ص 47، 48.

4- ينظر: فوات الوفيات 2/293.

والرحلة إليه من سائر الأقطار⁽¹⁾، وزوى كثيراً من كتب الأدب ومن مصنفاته، والمقصود بالأدب -هنا- علم النحو الذي استحوذ على معظم وقته ووجه إليه أكثر جهده، وكان القدماء لا يُفترقون بين علم الأدب بمعناه التخصصي الذي نعرفه الآن وهو النتاج الشعري والنثري وما يتعلّق بهما من نقدٍ وتحليلٍ ووصفٍ وتفسير...، وبين الأدب بالمعنى العام الذي يشمل علوماً متباينةً، ويعرفه ابنُ خلدون بقوله: ((إذا أرادوا حدّ هذا الفنّ قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كلّ علمٍ بطرفٍ))⁽²⁾، وهذا يؤكّد أنّ الأدب عندهم يعني الثقافة الموسوعيّة. هذا ((وقد أقرأ ابنُ الأنباريّ الناسَ العلمَ على طريقةٍ سديدةٍ وسيرةٍ جميلةٍ من الورع والمجاهدة والتقلّل والتنسك))⁽³⁾، ولم يزل على هذه الحال حتّى لزم بيته وتفرغ للتصنيف والتأليف، فكانت حياته قرطاسٍ وقلمٍ، وتلميذٌ وأستاذٌ، ومتعةٌ علميّة لا يستشعرها إلاّ مَنْ ذاق حلاوة العلم، فما عرف جسده الراحة ولا قلمه الفتور؛ بل سيّورة متواصلة من الإبداع والعمل الدؤوب، عقلٌ يُفكّر، وذاكرةٌ تُملي، وقلمٌ يستجيب فينسبُ على الدفاتر؛ ليُخرج في النهاية عُصارة علمٍ وفكرٍ راقٍ، كُتب له البقاء على مرّ الأزمان.

شيوخه:

تلقى ابنُ الأنباري العلمَ على مجموعةٍ صالحةٍ من أفاضل علماء عصره في النظامية وخارجها -وهم كثر- وسأقتصر على ذكر بعضهم:

أبو البركات عبد الوهّاب بن المبارك بن أحمد الأنماطيّ المتوفّي سنة ثمانٍ وثلاثين وخمسائة من الهجرة [ت538هـ]، سَمِع منه الحديث في غير النظامية⁽⁴⁾. وأبو منصور سعيد بن مُجّد بن عمر الشهير بابن الرزّاز المتوفّي سنة تسعٍ وثلاثين وخمسائة من الهجرة [ت539هـ] أخذ

1- ينظر: طبقات السبكيّ 248/4.

2- مقدّمة ابن خلدون 553/1.

3- إنباه الرواة 170/2.

4- ينظر: طبقات ابن قاضي شُهبة 248/4.

عنه الفقه في النظامية، وهو من صفوة أشياخه⁽¹⁾. وأبو منصور مُجَدِّد بن عبد الملك بن الحسن بن حَيْرُون البغدادي المتوفى سنة تسعٍ وثلاثين وخمسمائة من الهجرة [ت539هـ]، سَمِعَ منه الحديث⁽²⁾. وأبو منصور مؤهوب بن أحمد بن مُجَدِّد الجواليقي المتوفى سنة تسعٍ وثلاثين وخمسمائة من الهجرة [ت539هـ]، قرأ عليه اللغة والأدب وترجم له في (النزهة)، وكانت له مكانة خاصة في نفسه⁽³⁾. وأبو السعادات هبة الله بن علي بن مُجَدِّد العلوي المشهور بابن الشجري والملقب بالشريف والنقيب، المتوفى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة من الهجرة [ت542هـ] أخذ عنه النحو والعربية ولازمه وانتفع بصحبته، وختم به تراجمه في (النزهة) وكان له بالغ الأثر في تغيير وجهته إلى علم النحو، حتى برع فيه، ولم يكن ينتمي في النحو إلا إليه⁽⁴⁾.

تلاميذه:

تصدّر الشيخ ابن الأنباري للتدريس بالمدرسة النظامية بدايةً، ثمّ واصل الإفادة في بيته بكلّ حيويّة، ونشاطٍ منقطع النظير، وجهدٍ عجيبٍ وحُبِّ صادقٍ للعلم وأهله، فدرّس النحو واللغة، وتبحّر في العلم فقصده خلقٌ كثيرٌ صاروا علماء، وما قرأ عليه أحدٌ إلا وتميّز، كما نقل ذلك ابنُ خلكان، ووصفه بالبركة وذكر أنه لقي جماعةً منهم؛ ولكنّه لم يصرّح بهم⁽⁵⁾ -وليئته فَعَلْ!!- ومَن رَوَى عنه: الحافظ أبو بكر مُجَدِّد الحازمي، والقاضي أبو المحاسن عمر بن علي، وابن الديلمي وغيرهم⁽⁶⁾.

- 1- ينظر: طبقات السبكي 248/4؛ وطبقات ابن قاضي شهبة 304/1.
- 2- ينظر: طبقات السبكي 248/4؛ وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري 192/2.
- 3- ينظر: نزهة الألباء ص 342-343؛ وفوات الوفيات 292/2؛ وروضات الجنّات 31/5.
- 4- ينظر: نزهة الألباء ص 348-349؛ وإنباه الرواة 170/2؛ ووفيات الأعيان 140/3.
- 5- ينظر: وفيات الأعيان 139/3.
- 6- ينظر: طبقات السبكي 248/4؛ ووفيات الأعيان 488/1.

المطلب الثالث: آثاره

أولاً: نتاجه العلمي:

تميّز ابن الأنباري بغزارة نتاجه وتنوّعه؛ فقد صنّف في أصول الفقه وفروعه، وعلم الكلام، وعلم الرجال، وفنّ المناظرة والجدل، وفنون العربية...⁽¹⁾ وكان حسن التأليف فاشتهرت تصانيفه وظهرت مؤلفاته، وتكفيه شهادة ابن خلكان فيه؛ إذ يقول: ((وكتبه كلّها نافعة))⁽²⁾، وقد تلقاها العلماء من بعده بالقبول والشرح والدرس وأشاروا إليها في تضاعيف كتبهم.

والناظر في ملامح كتاباته يلحظ أنّها موصوفة بالسلامة والجودة وجمال العرض، مع قدرة على المناظرة والحجاج العقلي بالمنطق والدليل والإقناع وسطوع الحجّة، أمّا أسلوبه فهو أسلوب أديب متمكّن يملك الموهبة والذوق الرفيع، مع حسن العبارة ووضوح المعنى؛ خصوصاً تلك القضايا اللغوية (النحويّة وغيرها) التي يطول فيها الجدل وتعارض الآراء ومقارعة الحجّة بالحجّة كمسائل (الإنصاف)، ولعلّ أجمل اختزالٍ قرأته عن أسلوبه تلك العبارة اللطيفة الجامعة التي كتبها محقق كتاب الإغراب في جدل الإعراب: ((أسلوبٌ رياضيٌّ جميل))⁽³⁾.

وقد عدّت مصنّفاته بالعشرات وأوصلها بعض المترجمين إلى أكثر من خمسين مؤلفاً⁽⁴⁾، وأورد ابن قاضي شُهبة في طبقاته قولَ الموقّق عبد اللطيف: ((له مائة وثلاثون أكثرها نحوً وبعضها في الفقه والأصول والتصوّف والزهد))⁽⁵⁾، ويبدو أنه عدّ الرسائل الصغيرة وتحقيق بعض بعض المسائل كتباً، مثل: (تصرفات لؤ) و(كتاب في يعقون) و(مقترح السائل في: ويل أمّه)⁽⁶⁾.

أمّه⁽⁶⁾.

1- ينظر: مقدمة أسرار العربية ص14.

2- وفيات الأعيان 139/3.

3- مقدمة الإغراب في جدل الإعراب ص22.

4- ينظر: على سبيل المثال طبقات السبكي 248/4؛ وبغية الوعاة 86/2-88.

5- طبقات الشافعية 11/2.

6- ينظر: على سبيل المثال مقدمة محقق أسرار العربية ص14-19.

وعلى أيّ حالٍ فهي كتبٌ مفيدةٌ، يشهدُ لها بغزارة المعلومات ما وصلَ إلينا من الكتب النافعة، ويبدو أنّ كثيراً من آثاره قد امتدّت إليها يدُ الزمان العادية وصارت أثراً بعد عين - كحال كثيرٍ من تراثنا الضائع - ولعلّ الله يُيسّر ظهورها يوماً.

وسأذكر طائفةً متنوّعةً تُظهر تنوّع فكره ومؤسوعيّة ثقافته، مع معلوماتٍ مصاحبةٍ لبعضها حسب ما يقتضيه المقام، رامزاً إلى المفقود منها ب(ف) والمخطوط ب(خ) والمطبوع ب(ط)⁽¹⁾؛ لإبراز مجهوده الجبار في خدمة العلم عموماً، وعلوم العربية خصوصاً:

في العقيدة: النور اللائح في اعتقاد السلف الصالح (ف)⁽²⁾.

في أصول الفقه: الفصول في معرفة الأصول (ف)، ذكر فيه أوضاع الأصول المشابهة لأصول الفقه⁽³⁾.

في الفقه الشافعيّ: بداية الهداية في الفروع (ف) ألفه في المذاهب⁽⁴⁾، وهداية الذهاب في معرفة المذاهب (خ) صنّفه في المذهب الشافعيّ⁽⁵⁾.

في علم الكلام: الداعي إلى الإسلام في أصول علم الكلام (ف): ردّ فيه على مَنْ خالف المِلَّةَ الإسلاميّة، وخاطب كلَّ طائفةٍ باصطلاحهم، وربّته على عشرة فصول في الردّ على مَنْ أنكر الحدوث والصانع، والردّ على الثنوية والطبائعيين والمنجمين ومَنْ أنكر النبوة والمجوس واليهود والتّصاري، أمّا العاشر فهو في إثبات نبوة نبيّنا محمدٍ (ﷺ)⁽⁶⁾.

1- اعتمدتُ في بيانات (المخطوط والمفقود) على ما استقصاه جميل علّوش في كتابه (ابن الأنباري وجهوده في النحو) ص 102-138، أمّا الكتب (المطبوعة) فبعضها متوقّف في المكتبات وبعضها موجود في الموسوعات الإلكترونية.

2- ينظر: طبقات السبكي 284/4؛ وهدية العارفين 520/1.

3- ينظر: كشف الظنون لحاجي خليفة 1271/2.

4- نفسه 228/1.

5- ينظر: طبقات السبكي 248/4؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي 90/6.

6- ينظر: كشف الظنون 728/1؛ ومعجم المؤلفين لعمر كحّالة 183/5.

- في المنطق: الجُمَل في علم الجدل (ف)⁽¹⁾. ونجدة السُّؤال في عمدة السؤال (ف)⁽²⁾.
- في علم المصطلح: الاختصار في الكلام على ألفاظ تدور بين النُّظَّار (ف)⁽³⁾.
- في التَّصَوِّف: أصول الفصول في التَّصَوِّف (ف)⁽⁴⁾.
- في التاريخ والتراجم والأخبار: أخبار النحاة (ف)⁽⁵⁾، وتاريخ الأنبار (ف)⁽⁶⁾،
والجوهرة في نسب النبي (ﷺ) وأصحابه العشرة (خ)⁽⁷⁾، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء (ط)
وقد استطاع فيه المؤلِّف أن يوجز اللفظ مع إصابة المراد؛ فجمع فيه المتقدِّمين والمتأخِّرين مع
صِغَرِ حَجْمِهِ، ووُصِفَ بأنه مفيدٌ جدًّا⁽⁸⁾.
- في الأدب: شرح ديوان المتنبي (ف)⁽⁹⁾.
- في العروض والقافية: شرح المقبوض في علم العروض (ف)⁽¹⁰⁾. والموجز في القوافي
(ط)⁽¹¹⁾.
- في التعليم: الحض على تعليم العربية (ف)⁽¹²⁾.

- 1- ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة 11/2؛ وروضات الجنات 31/5.
- 2- ينظر: بغية الوعاة 87/2؛ وروضات الجنات 31/5.
- 3- ينظر: فوات الوفيات 293/2؛ وهدية العارفين 519/1.
- 4- ينظر: بغية الوعاة 87/2؛ وروضات الجنات 32/5.
- 5- ينظر: بغية الوعاة 87/2.
- 6- ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة 11/2؛ وبغية الوعاة 78/2.
- 7- ينظر: بغية الوعاة 87/2؛ وفوات الوفيات 295/2.
- 8- ينظر: وفيات الأعيان 139/3؛ والبداية والنهاية 310/12.
- 9- ينظر: فوات الوفيات 295/2.
- 10- ينظر: بغية الوعاة 87/2.
- 11- ينظر: بغية الوعاة 87/2؛ ومقدمة محقق أسرار العربية ص 18.
- 12- ينظر: كشف الظنون 670/1؛ وهدية العارفين 520/1.

في البلاغة: اللمعة في صنعة الشعر(ط)⁽¹⁾.

في اللغة: حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود(ط)⁽²⁾. والزهرة في اللغة (ف)⁽³⁾. وقبسة الأديب في أسماء الذيب (ف)⁽⁴⁾.

في النحو وأصوله: أسرار العربية، وهو من أحسن الكتب التي تبحث في العلة النحوية، وَضَعَهُ المؤلّف بطريقة السؤال والجواب، يذكر فيه الحُكْمَ وَعِلَّتَهُ، وهو سهل المأخذ كثير الفائدة، ذكر فيه جملة من مذاهب النحويين وصحح ما ذهب إليه⁽⁵⁾. وسمط الأدلة في النحو (خ)⁽⁶⁾. والإعراب في جدل الإعراب، وقد رسم فيه المؤلّف خطّةً محكمةً لقواعد وقوانين تحكّم موضوعَ الجدل النحوي؛ حتى يلتزم المناظرون آداباً تتفق وهيبة العلم والعلماء⁽⁷⁾. ولمع الأدلة، وهو أول كتابٍ مختصٍّ بأصول النحو، فصّل وقَرَعَ في أدلة السماع والقياس واستصحاب الحال⁽⁸⁾.

في الخلاف النحوي: الإنصاف في مسائل الخلاف، يُعدّ أشهر كتب المؤلّف في النحو وأضحهما، وهو فريدٌ من نوعه؛ لأنه أهمّ مصدرٍ يُعتمد عليه في الخلاف بين مدرستي البصرة

1- ينظر: بغية الوعاة 87/2؛ وابن الأنباري وجهوده في النحو ص121، هذا وقد علّق جميل علوش على الكتاب: بأنّ اسمه لا يتفق مع مضمونه المتنوع؛ لأنه يتضمّن ستاً وأربعين نوعاً من وجوه البديع.

2- ينظر فوات الوفيات 294/2.

3- ينظر: بغية الوعاة 87/2؛ وخزانة الأدب للبغدادى 156/5، وفيها: ((قال ابن الأنباري في الزاهر: الفاجر في كلام العرب العادل المائل...)) والظاهر أنّ لفظ (الزاهر) تصحيف في (الزهرة)، و(الزاهر في اللغة) من كتب أبي بكر مُحمّد بن القاسم الأنباري، والله أعلم.

4- ينظر: فوات الوفيات 294/2؛ وهدية العارفين 520/1.

5- ينظر: وفيات الأعيان 139/3؛ وكشف الظنون 83/1-84؛ ومقدمة ابن الأنباري في أسرار العربية ص2.

6- ينظر: هدية العارفين 520/1؛ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان 172/5.

7- ينظر: بغية الوعاة 87/2؛ وفوات الوفيات 293/2؛ وابن الأنباري وجهوده في النحو 128 - 129.

8- ينظر: بغية الوعاة 87/2؛ وهدية العارفين 520/1.

والكوفة، وقد ألفه استجابةً لرغبة تلاميذه، واختطه قضائياً بصورة تشبه المحاكمة، إذ يعرض رأي الطرفين في المسألة، ثم يُعقَّب بأدلتهما، ثم يُورد ردَّ كلِّ فريقٍ على الآخر مصحوباً بحجته، ثم يُناقش الرأي المردود ويُفندُه، وأخيراً يُصدِرُ حُكْمَه منتصراً لهذا أو ذاك⁽¹⁾.

في فروع النحو والصرف: المعتبر في الفَرْق بين الوصف والخبر (ف)⁽²⁾. والميزان في النحو (ميزان العربية) (ف)⁽³⁾. والوجيز في التصريف (خ)⁽⁴⁾.

ثانياً: شعره:

يصعب الحكم على مدى شاعريّة الأنباري إذا ما نظرنا إلى التّف الضئيلة من شعره، الذي نقله إلينا بعض المؤرّخين والمترجمين له، ويُرجع جميل علّوش سبب ندرة شعره إلى أنّ قرض الشعر شيءٌ ثانويٌّ في حياته؛ لأنه كرس كلَّ جهده في مدارس العلم والتأليف، فإمّا أن يكون الناس قد انشغلوا بتصانيفه عن شعره فتنوسبيّ وضع، وإمّا أن يكون له نتاج شعريٌّ لم يرض عنه فلم ينشره في الناس، وإمّا أن يكون استعداده الفطريّ غير مُواتٍ للإكثار من قرض الشعر⁽⁵⁾.

وعموماً فإنّ شعره الواصل إلينا يُعدّ مقبولاً من الناحية الفنيّة، وهو أقرب إلى نظم العلماء، بالإضافة إلى أنه تعبيريٌّ صادقٌ عن نظرتِه الجادّة الوقورة في الحياة. ومن شعره في العاطفة - وهو جيّد - [من البسيط]⁽⁶⁾:

إذا ذكرْتُكَ كاد الشوقُ يفتُلني .: وأزقتني أحزانٌ وأوجاعُ
وصار كُليّ فلوباً فيك داميةً .: للسقَم فيها وللآلام إسراعُ
فإن نطقْتُ فكلّي فيك ألسنةً .: وإن سمعتُ فكلّي فيك أسمعُ

1- ينظر: وفيات الأعيان 139/3؛ وبغية الوعاة 87/2.

2- ينظر: كشف الظنون 1731/2.

3- ينظر: وفيات الأعيان 39/3. والبداية والنهاية 310/12.

4- ينظر: بغية الوعاة 87/2.

5- ينظر: ابن الأنباري وجهوده في النحو ص 100-102.

6- ينظر: بغية الوعاة 88/2؛ وروضات الجنّات 32/5.

ومن شعره في الوعظ والزهد [من الطويل]⁽¹⁾:

تَدْرَعُ بِجِلْبَابِ الْقِنَاعَةِ وَالْيَاسِ .: وَصُنُّهُ عَنِ الْأَطْمَاعِ فِي أَكْرَمِ النَّاسِ
وَكُنْ رَاضِيًا بِاللَّهِ تَحِيًّا مُنْعَمًا .: وَتَنْجُو مِنَ الضَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ وَالْبِئْسِ
فَلَا تَنْسَ مَا أُوصِيْتُهُ مِنْ وَصِيَّةٍ .: أُخِيَّ، وَأَيُّ النَّاسِ مَنْ لَيْسَ بِالنَّاسِي
ومن شعره في مواصفات التصوّف [من البسيط]⁽²⁾:

دَعِ الْفَوَادِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَرْقِ .: لَيْسَ التَّصَوُّفُ بِالتَّلْبِيسِ وَالْحَرْقِ
بَلِ التَّصَوُّفُ صَفْوُ الْقَلْبِ مِنْ كَدْرِ .: وَرُؤْيُهُ الصَّفْوُ فِيهِ أَعْظَمُ الْحَرْقِ
ومن شعره في الحثّ على طلب العلم والرفعة من شأن العلماء [من الكامل]⁽³⁾:

الْعِلْمُ أَوْفَى حِلْيَةٍ وَلِيَّاسٍ .: وَالْعَقْلُ أَوْفَى جُنَّةِ الْأَكْيَاسِ
كُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ تَحِيًّا فَإِنَّمَا .: جَهْلُ الْفَتَى كَالْمَوْتِ فِي الْأَزْمَاسِ
وَالْعِلْمُ نَوْرٌ يُهْتَدَى بِضِيَائِهِ .: وَبِهِ يَسْوُدُ النَّاسُ فَوْقَ النَّاسِ
وَالْعِلْمُ تَوْبٌ وَالْعَفَافُ طِرَازُهُ .: وَمَطَامِعُ الْإِنْسَانِ كَالْأُدْنَانِ

المطلب الرابع: نماذج من إسهاماته النحوية⁽⁴⁾

أولاً: إسهامه في أصول النحو:

لقد برع ابن الأنباري في علوم شتى، أدلى فيها بدلوه، ونفت فيها من روحه وعقله، وأهمّها على الإطلاق (علم أصول النحو) الذي ألف فيه كتابه القيم (لمع الأدلة) الذي بناه على ثلاثين فصلاً بدأها بفصل (معنى أصول النحو وفائدته) وختمها بفصل (في الاستدلال بعدم الدليل في الشيء على نقيضه) وقسم فيه أصول النحو إلى ثلاثة مرتبة حسب أهميتها: (النقل

1- ينظر: إنباه الرواة 170/2-171.

2- ينظر: إنباه الرواة 171/2؛ وابن الأنباري وجهوده في النحو ص 101-102.

3- ينظر: فوات الوفيات 295/2؛ وابن الأنباري وجهوده في النحو ص 101.

4- بعض أفكار هذا المبحث مُستفاداً من كتاب (ابن الأنباري وجهوده في النحو) ينظر: ص 141-387.

والقياس واستصحاب الحال)، دائراً بالنحو في فلك الفقه، حيث اقتبس مصطلحاته وتقسيماته ونظامه العام من كتب أصول الفقه، وحوّله من علمٍ معتمِدٍ على النقل والرواية إلى علمٍ يتّصل بالفلسفة والمنطق، ويأخذ بالحجّة والعقل في تقرير الأحكام وتعليلها، وحدود المصطلحات، والنزوع إلى التأويل والتصور المجرّد.

والمتتبع لمسيرة علم أصول النحو يرى لِلْوَهْلَةِ الأولى أنّ ابن الأنباري قد سبق بمحاولاتٍ جادّةٍ، وليس مُبتَكِراً لهذا العلم؛ ولكنّ بنظرةٍ فاحصةٍ يمكن القول: إنه كان له فضلٌ كبيرٌ في رسم ملامحه وترتيب مباحثه وجمعه بين دفتي كتاب، فعلى الرغم من اهتمام ابن السراج في كتابه (الأصول)، بالقياس، فإنّ كتابه لم يحمل ملامح علم الأصول، وإنما جمع مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيبٍ، ومقصوده من الاسم (الأصول) القواعدُ النحوية والصرفية المطّردة. وخاض أبو عليّ الفارسي في بعض مسائل هذا العلم في إطار شغفه الكبير بالقياس والتوسّع فيه؛ ولكنه لم يُصنّف فيه كتاباً مستقلاً. أما ابنُ جنيّ المعدودُ من القلائل الذين فهموا أسرارَ العربية، وبحثوا عن نفائسها وبلغوا فيها شأواً عظيماً، فقد كان له جهدٌ كبير وباعٌ طويل في البحوث النحوية والصرفية والصوتية في (سرّ صناعة الإعراب) وكتابه الفريد (الخصائص)، الذي تناول فيه كثيراً من مسائل الأصول كالعلّة والضرورة والاستحسان، وقرّر أدلّة النحو الثلاثة: السماع والقياس والإجماع؛ ولكنّ مُصنّفه حوى مزيجاً من علومٍ شتى، اهتدى فيها إلى نظريّاتٍ عامّة في اللغة وخواطرٍ تُراوذه من هنا وهناك لاستخلاص علمٍ ((مبنّي على إثارة معادن المعاني، وتقرير حال الأوضاع والمبادئ، وكيف سرّث أحكامها في الأحناء والحواشي))⁽¹⁾، وقد صرّح أنّ كتابه ((ليس مبنياً على حديث وجوه الإعراب، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام وكيف بُدئ؟ وعلامٌ نُجي؟))⁽²⁾.

وبناءً على ما سبق فإنّ ابن الأنباري يستحقّ أن ينال شرف السّبُق في اختصاصه بهذا العلم تحديداً، وقصده بتأليفٍ مستقلٍّ دون غيره من الجوانب الأخرى كالمسائل الفرعية والإعراب

1- الخصائص لابن جنيّ 32/1.

2- نفسه 67/1.

والشواهد وغيرها من اهتمامات أغلب النحاة قبله وبعده، أما ما ذكره السيوطي -رحمه الله- في (اقتراحه): ((هذا كتابٌ غريبُ الوُضْعِ عجيبُ الصُّنْعِ، لطيفُ المعنى طريفُ المبنى، لم تسمح قريحة بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله، في علمٍ لم أُسْبِقْ إلى ترتيبه ولم أُتَقَدِّمْ إلى تهذيبه))⁽¹⁾ فعارٍ عن الصَّحَّة؛ لأنه ذكر في مقدمته أنه اطلع على كتابي ابن الأنباري (اللُّمَعُ والإغراب) ونقل كثيراً من نصوصهما، فإن كان قصده بالسبق والأولوية سلامة المنهج وحسن التنظيم وسلاسة الأسلوب فهو مُحَقِّقٌ، وإن كان يعني الابتكار فقبله مردودٌ، لاسيما وأن صاحب (الضوء اللامع) -وهو أحدُ معاصريه- وَصَفَهُ بالعجلة وكثرة التحريف والتصحيف بسبب أخذِه من بطون الدفاتر وعدم مزاحمته الفضلاء، واهتمَّه بأخذ كثيرٍ من تصانيف المتقدمين ((فعَيَّرَ فيها يسيراً وَقَدَّمَ وَأَخَّرَ ونَسَبَهَا لنفسه، وهَوَّلَ في مقدّماتها بما يتوهم منه الجاهلُ شيئاً ممَّا لا يوفي ببعضه))⁽²⁾، هذا ما أوردَه مُعاصِرُه، والله أعلم بالحقيقة وهو حسبُه.

ثانياً: إسهامه في الخلاف النحوي:

سُبق كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباري بكتبٍ ذكرها أصحاب التراجم ككتاب (اختلاف النحويين) لثعلب، و(ما اختلف فيه البصريون والكوفيون) لابن كيسان و(المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين) للنحاس، وصُنِّفَت كتبٌ بعده في الخلاف ككتاب (التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) للعكبري⁽³⁾؛ ولكنَّ (إنصافه) كان ولازال أهمَّ مُصنَّفٍ في بابِه، لأنَّه تفرَّد بطريقةٍ لم يتبعها أحدٌ من السلف ولا أحدٌ من الخلف كما صرَّح المؤلِّفُ بذلك في مقدمته⁽⁴⁾؛ لما يحويه من إحاطةٍ بالمسائل وحُسنِ عرضٍ ومُقارعةٍ الحجة

1- الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص21.

2- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي 66/4-68 بتصرف.

3- ينظر: على سبيل المثال بغية الوعاة 19/1، 362، 397، وابن الأنباري وجهوده في النحو ص244، أما كتاب العكبري (التبيين ...) فهو مطبوع مُتداوِل.

4- ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 5/1.

بالحجة وإصدار الأحكام ... وغير ذلك من الأمور التي جعلته يتفوق على سابقيه، ويقتصر عنه لأحقوه؛ بل هم عالةٌ عليه، وسأكتفي بالإشارة إلى مسألتين وزدتا في إنصافه هما:

المسألة الخامسة: (القول في رافع المبتدأ ورافع الخبر)⁽¹⁾، بعد أن فصل رأي الفريقين وحججهما خرج برأي توفيقِي وتعليلٍ منطقيٍّ مفاده: ((والتحقق فيه عندي أن يقال: إنَّ الابتداء هو العامل في الخبر بواسطة المبتدأ؛ لأنه لا ينفك عنه، ورُبُّتُهُ أَلَّا يقع إلَّا بعده، فالابتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ لا به، كما أنَّ النار تُسخِّن الماء بواسطة القدر والحطب، فالتسخين إنما حصل عند وجودهما لا بهما؛ لأنَّ التسخين إنما حصل بالنار وحدها، فكذلك ههنا الابتداء وحده هو العامل في الخبر عند وجود المبتدأ، لا أنه عاملٌ معه؛ لأنه اسمٌ والأصل في الأسماء أَلَّا تعمل))⁽²⁾، وقد ذكر ابن الأنباري في مقدمته أنَّ التُّصْرَةَ لأحد الفريقين إنما على سبيل الإنصاف لا التعصّب والإسراف، ولكنَّ بعضَ العلماء يرون أنه ميَّالٌ في كتابه إلى مذهب البصريين، بدليل أنه انتصر للكوفيين في سبع مسائل، ووافق البصريين في أربع عشرة ومائة مسألة⁽³⁾، ولا عجب في ذلك فيسلسلة مشايخه في (نزهته) التي ابتدأها بابن الشجري حتى أوصلها إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) سلسلةً بصريةً خالصةً⁽⁴⁾، وكذلك انتسابه إلى المذهب البصري لا يحتاج إلى دليل؛ فالناظر إلى كتبه المتداولة يلاحظ غلبة النزعة البصرية عليه، بالإضافة إلى أنَّ المزاج النحويّ العام كان ولا زال إلى يومنا هذا ميَّالاً إلى المدرسة البصرية؛ لِدِقَّتِهَا وانضباطها في المسموع والمقيس، ولموافقة جمهور النحاة لها؛ وعموماً فهذه المسألة تُعدُّ أنموذجاً بارزاً على سلامة عرضه وترتيبه للآراء والردود، وإبراز الحجج، وصولاته وجولاته في المسألة.

1- الإنصاف في مسائل الخلاف 44/1-51.

2- نفسه 46/1-47.

3- ينظر: ابن الأنباري وجهوده في النحو ص 270-272.

4- ينظر: نزهة الألباء ص 349.

المسألة الستون: (القول في الفصل بين المضاف والمضاف إليه)⁽¹⁾ بعد أن استعرض ابن الأنباري شواهد الكوفيين الشعرية والنثرية، وقراءة ابن عامر بالبناء لغير الفاعل في (زَيْن) ورفع (قَتْل) على نيابة الفاعل، ونصب (أَوْلَادَهُمْ) على المفعولية للمصدر الفاصلة بين المتضايقين، وجرّ (شُرَكَائِهِمْ) على الإضافة إلى المصدر، في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرِدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ... ﴾⁽²⁾ وبعد أن أورد حُجَجَهُمْ، ردّ عليهم بما ارتضاه من أجوبة البصريين، ثم عقب قائلاً: ((وأما قراءة مَنْ قرأ من القراء [يعني ابن عامر] ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ فلا يسوغ لكم الاحتجاج بما... والبصريون يذهبون إلى وهي هذه القراءة، ووهم القارئ ... وفي وقوع الإجماع على خلافه دليل على وهي القراءة، وإما دعا ابن عامر إلى هذه القراءة أنه رأى في مصاحف أهل الشام (شُرَكَائِهِمْ) مكتوباً بالياء ومصاحف أهل الحجاز والعراق (شُرَكَائِهِمْ) بالواو فدلّ على صحّة ما ذهبنا إليه))⁽³⁾، ودون الخوض في تفاصيل المسألة المتشعبة، فقد دار جدل طويل بين النحاة فُدمائهم ومُتأخريهم ومُحدثيهم بين مُدافع على صحّة القراءة ومُخطّي لها؛ ولست مُهتماً في هذا البحث بجزيئات المسائل بقدر اهتمامي بموقف ابن الأنباري من القراءة؛ التي مأل إلى إنكارها تبعاً لمفسرين ونحاة خطّوا القراءة وضعفوها قبله كالزحخشري الذي قال: ((وأما قراءة ابن عامر... فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً... فكيف به في القرآن المعجز))⁽⁴⁾، وبعض المتأخرين صحّحوا القراءة كأبي حيان الذي انتصر للقراءة والقارئ وردّ على مخطّيه بتواتر القراءة، ونقلها عن عربي صريح فصيح⁽⁵⁾؛ والغريب في الأمر أنّ ابن الأنباري نفسه قرّر في الفصل الخامس من (لمعه) في

1- ينظر: الإنصاف 427/2-436؛ وابن الأنباري وجهوده في النحو ص301-303.

2- سورة الأنعام: 137.

3- الكشف للزحخشري 54/2.

4- ينظر: الكشف للزحخشري 54/2 بتصرف.

5- ينظر: البحر المحيط لأبي حيان 229/4-230.

شرط نقل المتواتر: ((واعلم أنّ أكثر العلماء ذهبوا إلى أنّ شرط التواتر أن يبلغ عدد النقلة إلى حدٍّ لا يجوز فيه على مثلهم الاتفاق على الكذب كتنقلة لغة القرآن، وما تواتر من السنّة وكلام العرب))⁽¹⁾، وهو يعلم علم اليقين أنّ ابنَ عامرٍ هو أحدُ النقلة الأثبات، وهذا تناقضٌ واضحٌ بين التنظير والتطبيق.

وُحْلاصَةُ القَوْل: إنّ اللّغَةَ هي التي تُعْرَضُ على القراءة؛ لتصححها، لا العكس، ولقد زلّت قدمُ الأنباري ووقع فيما وقع فيه كثيرٌ من النحاة في تضعيف القراءة والطعن في قارئها ورؤيته بالوهم، وسَلَقَهُ بالسنةِ جدادٍ، ولا شكَّ أنّ التشكيك في عدالة قارئٍ ثقةٍ في حدّ ذاته أمرٌ جَلَلٌ!! لما يُحدثه من فقدان الثقة بالأئمة الأجلاء الذين ارتضتهم الأمة وأمنتهم في نقلهم، ولما سيفتخه هذا الباب من التشكيك في الأثبات المقتدى بهم، وتجرؤ الخاصة والعامة على الخوض فيما لا يجوز الخوض فيه إلاّ بدليلٍ قاطعٍ، لاسيّما وأنّ المعلوم بالضرورة: أنّ القراءة الثابتة بالأسانيد الصحيحة المتواترة، إنما تؤخذ بالمشافهة كإبراً عن كابرٍ ولا دخل لعربيةٍ أو عُجميةٍ فيها؛ لأنّ المدار في صحتها على النقل لا على الفصاحة، وقد انفقت الأمة على عدالة ابن عامر وحفظه، وكان الأولى بابن الأنباري أن يترفع عمّا قال، ولكن قد يكون دافعه إلى ذلك هو اتباع مشهور كلام العرب، والسّير على نهج اللغة الأفضح، ولكلّ جوادٍ كِبوة.

ثالثاً: إسهامه في الجدل النحوي:

هو علمٌ لم يُسبق إليه كما صرّح هو نفسه بذلك في مقدّمة كتابه (الإعراب في جدل الإعراب): ((فإنّ جماعة من الأصحاب اقتضوني بعد تلخيص كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف تلخيص كتاب في جدل الإعراب مُعرّى عن الإسهاب، مجرّد عن الإطناب؛ ليكون أوّل ما صُنّف لهذه الصناعة في قوانين الجدل والآداب))⁽²⁾، ثمّ بيّن الهدف منه وهو اتباع سبيل الحق والصواب عند المجادلة والمناظرة، والتأدّب عند المحاورّة والمذاكرة، وقد قسّمها اثني عشر فصلاً: (في السّؤال وفي وصف المسائل وفي المسؤول به وفي المسؤول منه ... وفي الاعتراض على

1- لَمَع الأدلّة ص84، ويُراجَع الاقتراح للسيوطي ص48-51.

2- الإعراب في جدل الإعراب ص35.

الاستدلال باستصحاب الحال وفي ترجيح الأدلة⁽¹⁾، ولتبيين طريقته المنطقية الجدلية في الكتاب أكتفي بنقل الفصل الخامس (في وصف المسؤول عنه): ((إعلم أنّ المسؤول عنه ينبغي أن يكون ممّا ينبغي إدراكه، مثل: أن يُسأل عن أنواع الحركات والمرفوعات والمنصوبات والمجرورات والمجزومات؛ فإن كان ممّا لا يمكن إدراكه، مثل: أن يُسأل عن أعداد جميع الألفاظ والكلمات الدالة على جميع المسميات كان فاسداً؛ لتعدُّر إدراكه فلا يستحقّ الجواب عنه))⁽²⁾.

والجدير بالذكر أنّ دعوى السبق في علمي (الأصول والجدل) صدرت من ابن الأنباري نفسه حين قال في (نزهته): ((... فإنّ علوم الأدب ثمانية: النحو واللغة والتصريف والعروض والقوايي وصنعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم؛ وألحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضعناهما، وهما علم الجدل في النحو، وعلم أصول النحو))⁽³⁾، وقد صنّف كتبه الثلاثة الرائدة على التوالي (الإنصاف، الإغراب، اللّمع) بدليل أنه ذكر في مقدّمة كتابه (الإغراب في جدل الإعراب): أنّ جماعة من أصحابه بعد أن استحسّنوا صنيعة في كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) اقتضوه أن يُلخّص كتاباً في جدل الإعراب فأجابهم على وَفَّق طُلبتهم طلباً للثواب⁽⁴⁾، وقال في ختام كتابه (لمع الأدلة): ((وأما الاعتراض على كلّ أصلٍ من هذه الأصول التي هي النقل والقياس واستصحاب الحال فيلحق بفنّ الجدل، وقد ذكرنا ذلك مُستقصيّ في كتابنا الموسوم بـ(الإغراب) والله أعلم بالصواب))⁽⁵⁾.

الخاتمة:

ما أثبتته في هذا البحث لا يعدو أن يكون سطرًا في مجلّد الإمام ابن الأنباري المزدهم بالفوائد والعبر، الذي أخلص عمله لله فزرقه الله سرّ خلود علمه، وبارك له في صدقته الجارية،

1- ينظر: نفسه ص35-36.

2- الإغراب في جدل الإعراب ص43.

3- نزهة الألباء ص84.

4- ينظر: ص35-36.

5- لمع الأدلة ص143.

وكأنه يتمثل قوله تعالى: ﴿... وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُوا اللَّهَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾، ولا أدعي أنني أضفتُ جديداً؛ لكنني ركزت على جوانب من العطاء في شخصيته؛ لتكون مدرسة تُتخذى ونبراساً لطلبة العلم السائرين على الدرب، وبتبعية لسيرته وسلوكه واجتهاده استخلصت بعض الملاحظات الآتية:

- مشاركته في علومٍ شتى دليلٌ على سعة اطلاعه، وتنوع اهتماماته، واستيعابه لعلوم عصره.

- اتّسمت بعضُ كتاباته في حقل النحو (بمعناه الواسع: النحو/ الصرف) وما يتعلّق به، بأنها كتابةٌ غيرُ تقليدية؛ فلم يتبع فيها حُطى أسلافه، من استعراض الأبواب النحوية المعروفة وما يتبعها من مسائل الإعراب والبناء، ومحتزات القواعد وتحليل الشواهد ... وما إلى ذلك من الفروع المتداولة في التأليف النحوي؛ بل ركّز على القضايا الكلية في الفكر النحوي.

- يظهر تفردُه الحقيقي وإسهاماته النوعية في اهتمامه بجوانب سبق إليها بإشاراتٍ ونظراتٍ خاطفة، ولكنّه نظّمها وهذّبها ووضع أسسها فكان سابقاً فيها بحق، في الجدل النحوي والمناظرة الإعرابية متميّلاً في (الإعراب في جدل الإعراب)، وفي أصول النحو مُجسّداً في (لمع الأدلة)، وفي الخلاف النحوي الذي سطره في أشهر كتبه وأنفعها على الإطلاق (الإنصاف في مسائل الخلاف).

- يُعدّ كتاباه (نزهة الألباء في طبقات الأدباء، وأسرار العربية) رائدين في مجالهما، حيث اتّسم الأوّل بدقّة النقل وسهولة العبارة واختزال المعلومة، وتوثيق تراجم أئمة العربية إلى عصره، والثاني تميّز بحُسن العرض القائم على السؤال المتوقع المشفوع بالجواب المناسب.

- وختاماً هذا ما تيسّر لي كتابته في حقّ هذا الشيخ الجليل والعالم العامل، رحمه الله رحمةً واسعة!

والحمد لله أولاً وآخراً.

قائمة المصادر والمراجع

● مصحف المدينة.

- 1- ابن الأنباري وجهوده في النحو لجميل علّوش، الدار العربية للكتاب، "د. ط، ت".
- 2- أسرار العربية لابن الأنباري، تحقيق: مُجّد بهجت البيطار، مطبعة الترقّي، دمشق، 1377هـ - 1957م، "د. ط".
- 3- الأعلام لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، "د. د، ت".
- 4- الإعراب في جدل الإعراب لابن الأنباري، تحقيق: سعيد الأفغاني، "د. د، ط، ت".
- 5- الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي، تحقيق: أحمد مُجّد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1396هـ - 1976م.
- 6- إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي، تحقيق: مُجّد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1371هـ - 1952م.
- 7- الأنساب للسمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الجنان، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.
- 8- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين لابن الأنباري، تحقيق: مُجّد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، "د. ط، ت".
- 9- البحر المحيط (التفسير الكبير) لأبي حيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1411هـ - 1990م.
- 10- البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط: الثانية، 1977م.
- 11- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق: مُجّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، "د. ط، ت".

- 12- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، ترجمة: رمضان عبد التّوّاب، مراجعة الترجمة: السيد يعقوب بكر، دار المعارف، ج.ع.م، 1977م، "د. ط".
- 13- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين لأبي البقاء العكبري، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.
- 14- خزانة الأدب ولُبُّ لُباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، الطبعة الثانية، "د.ت".
- 15- الخصائص لابن جني، تحقيق: مُحمَّد علي النجّار، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، 1371هـ - 1952م.
- 16- دائرة المعارف الإسلامية: أُصدر بالألمانية والإنجليزية والفرنسية، نقلها إلى اللغة العربية: مُحمَّد ثابت الفندي وغيره، المجلد الثالث، "د. ط، ت".
- 17- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات لمحمد باقر الخوانساري، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، دار المعرفة، بيروت، 1392هـ، "د. ط".
- 18- شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ - 1986م، "د. ط".
- 19- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، "د. ط، ت".
- 20- طبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.
- 21- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، "د.ت".
- 22- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، نشر: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1402هـ - 1982م.
- 23- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، "د. ط، ت".
- 24- الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار صادر، بيروت، 1966م، "د. ط".

- 25- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله محمود الزمخشري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م.
- 26- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، مكتبة المثنى، بيروت، "د. ط، ت".
- 27- لَمَع الأدلّة لابن الأنباري، تحقيق: سعيد الأفغاني، "د. د، ط، ت".
- 28- المختصر في أخبار البشر لإسماعيل عماد الدين أبي الفداء، دار المعرفة، بيروت، "د. ط، ت".
- 29- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتَبَر من حوادث الزمان لعبد الله الياضي، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1390هـ - 1970م.
- 30- معجم البلدان لياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م.
- 31- معجم المؤلفين لعمر كحالة، مطبعة الترقّي، دمشق، 1377هـ - 1958م، "د. ط".
- 32- مقدّمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، "د. ط، ت".
- 33- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، "د. ت".
- 34- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري، تحقيق: مُجّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ - 1998م، "د. ط".
- 35- هدية العارفين، أسماء المؤلّفين، آثار المصنّفين لإسماعيل البغدادي، منشورات مكتبة المثنى، طبع باستانبول، 1951م، وأعيد طبعه بالأوفست.
- 36- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن خلّكان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، "د. ط، ت".